ولم يزل هائما في طريقه الغرامية إلى أن قال .

( وها أنا ذا كالطيف فيها صبابة ... لعلي إذا نامت بليل أزورها ) .

هذا المعنى قلبه الصاحب بهاء الدين زهير على من تقدمه فيه وسبكه في أغرب القوالب البديعية وأظنه من مخترعاته .

ثم قال بعده .

( من الغيد لم توقد مع الليل نارها ... ولكنها بين الضلوع تثيرها ) .

( تقاضي غريم الشوق مني حشاشة ... مروعة لم يبق إلا يسيرها ) .

( وإن الذي أبقته منها يد الهوى ... فداء يشير يوم وافى نصيرها ) .

هذا المخلص استعبد الصاحب بهاء الدين زهيرا رقيق ألفاظه بحشمة توريته .

ومثله في الحسن قوله من قصيدة يمدح بها الملك الناصر صلاح الدين بن العزيز مطلعها .

( عرف الحبيب مكانه فتدللا ... وقنعت منه بموعد فتعللا ) .

وما أظرف ما قال بعده .

( وأرى الرسول ولم أجد في وجهه ... بشرا كما قد كنت أعهد أولا ) .

ولم يزل يدير كاسات صباباته الغرامية إلى أن قال .

( آها لقلب ما خلا من لوعة ... أبدا يحن إلى زمان قد خلا ) .

( ورسوم جسم كاد يحرقه الهوى ... لو لم تبادره الدموع لأشعلا ) .

( ولقد كتمت حديثه وحفظته ... فوجدت دمعي قد رواه مسلسلا ) .

( أهوى التذلل في الغرام وإنما ... يأبى صلاح الدين أن أتذللا ) .

وما أحلى ما قال بعد المخلص .

( مهدت بالغزل الرقيق لمدحه ... وأردت قبل الفرض أن أتنفلا ) .

ويعجبني أيضا من مخالص القاضي كمال الدين بن نبيه قوله من قصيدة يمدح بها الخليفة الناصر لدين ا مطلعها .

( باكر صبوحك أهنى العيش باكره ... فقد ترنم فوق الأيك طائره )